مجلة فصلية يصدرها مجمع اللغة العربية بالشارقة

العربيّة لساني

السنة الأولى - العدد الثالث - مايو ٢٠٢٠م

جسر ثقافي بين هانكوك ومجمع اللغة العربية بالشارقة

اختتام فعاليّات الشارقة العاصمة العالمية للكتاب لعام ٢٠١٩/٢٠٢٠

تأدب النحاة مع الله عزَّ وجل

دور القصص في تنمية اللغة لدى الطفل

وقفة مع كتاب النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري

أبو جعفر ابن النحاس «ومضات في فكره ومؤلفاته»

المتصاحبات اللغوية: وقفة مصطلحية

على أعتاب الموت: قصة شاعر جاهلي

القاموس المحيط صورة غير نمطية

نسخة بي دي إف (PDF)

وهبت نفسي للغة العربية

صاحب السموّ الشيخ الدكتور

سلطان بن محمد القاسمي

عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة – الرئيس الأعلى لمجمع اللغة العربية بالشارقة

الشارقة
عاصمة عالمية
للكتاب

20
19

SHARJAH
WORLD BOOK
CAPITAL

افتح كتاباً. تفتح أذهاناً.
Open Books. Open Minds.

SharjahWBC
www.sharjahwbc.com

ماذا سَيُضِيفُ المُعْجَمُ التّاريخيّ للّغة العربيّة؟

د. ياسين بوراس
أستاذ علوم اللّغة بجامعة محمّد البشير الإبراهيميّ
والخبير بالمجلس الأعلى للّغة العربيّة

كَثيرًا ما يُطْرَحُ التّساؤُل حول مشروع المعجم التّاريخيّ، عند من اختصّ في هذا المجال أو لم يختص، ما الذي سيضيف هذا المعجم للّغة العربيّة؟ وإن كان له ما له من الأهميّة، فلماذا تَأخّر النّاطقون بهذه اللّغة في إعداده؟ والحَقيقَة إنّ الإجابة عن هذا السُّؤال أو السّؤالَيْن الأوّل والثّاني، تقتضي منّا الدّقة أمام مشروع وُصِفَ في أكثر من مرة عند الباحثين المُختصّين بأنّه (مشروع حضاريٌّ) و(مشروع أُمّة) و(مشروع نَهْضَة)، وقَبْلَ إجابتنا عن هذا السُّؤال أو السُّؤالَيْن تحديدا، لا بُدَّ من تحديد مفهوم المعجم التّاريخيّ، ومن ثمّ تبرير وصفه بهذه الصّفات.

يُقْصَدُ بالمعجم التّاريخيّ في مجال الصّناعة المعجميّة، ذلك المُعْجَمُ الذي يقف على حياة اللّغة مُتَتَبّعا مختلف مراحل تَطوُّرها من حيث اللّفظ والمعنى، بين نُمُوٍّ بعض الألفاظ وضمور بعضها، وتجدُّد بعض المعاني فيها واختفاء بعضها، وهو بذلك يُقدِّم صُورة نَموذجيّة عن تاريخ الألفاظ ومعانيها في لغة من اللغات. وهو يَعْتَمِد في هذا العمل قاعدة عامّة، تقول كما جاء بها أصحاب المشروع الخاصّ (بالمعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة)، وهما مَجْمَعُ اللغة العربيّة بالشّارقة و اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية بالقاهرة:

«هذا اللّفظ بهذا المبنى بهذا المعنى لهذا القائل في هذا التّاريخ ضمن هذا الشّاهد»

هذا عن مفهومه، أمّا سَبَبُ وصفه بهذه الصّفات، ومن بينها أنّه مشروع حضاريّ؛ فلأنّه يُؤرِّخ للغة امتدّت حضارتها لأكثرَ مِنْ خَمسَة عشر قرنا، وهِيَ مُدَّة لَمْ تُتَحْ لأيّ لغة من اللّغات البشريّة مَهمَا بلغ شأوها أو عمّرت، وهو السّبب الذي أَخّر النّاطقين بالعربيّة من أبناء وطنها قرونا لإعداده؛ بسبب طول المدة بين تاريخ نشأة هذه اللّغة وتاريخها الحاضر، هذا من جهة، ومن جهة ثانية فلأنّه يُؤرِّخ لألفاظ اللغة العربيّة عبر مختلف مراحل تاريخها، بدءا بأوّل تاريخ لها وهو العصر الجاهليّ، وانتهاءً بآخر عصر وهو العصر الحديث، ليُغطيَ بذلك خمسة عصور من تاريخ اللغة العربيّة، وهي: العصر الجاهلي، والإسلاميّ، والعباسيّ، وعصر الدّول والإمارات، والعصر الحديث، ويُعَدُّ بذلك شاهدا ماديّا على مرحلة كاملة من تاريخ اللغة العربيّة في هذه الحضارة. أمّا سبب وصفه بأنّه (مشروع أمّة)؛ فلأنّه مفتوح على مختلف الشُّعُوب العربيّة النّاطقة بهذه اللّغة، إفادة واستفادة، كُلٌّ بما يملك من أفكار للتّخطيط أو مال للتّمويل أو جُهْدٍ للعمل، من دون استثناء؛ ليكون هذا المَشْرُوع من بين المَشاريع الّتي تَجْتَمِعُ عَلَيْهَا أُمَّة بِأَكْمَلِها لِضَخَامَتِه، في شَكْلِ عمل جماعيٍّ، يدعمه التَّحلّي بروح المَسؤوليَّة تُجاه لغة هي الأمّ بالنّسبة إلينا، بعد أنْ حباها الله بقرآنه واختارها أن تكون لسانا للعالمين؛ فضلا عمّا قَدّمته للبشريّة والحضارة الإنسانيّة ولا تزال، وما قدّمته ولا تزال تقدّمه للنّاطقين بها من خِدْمَات جليلة أقلُّها شأنًا التَّعبُّد بِهَا كطريق للجنّة؛ بله الحديثَ عن التَّعلُّم، والسِّياسَة، والإعلام، والتِّجارة... إلخ، وعَهْدِي بالمُسْلِمِ أَنْ يَقُولَ: كَفَى بِالمَرْءِ أَنْ يُولَدَ مُسْلِمًا، وهذه اللّغة من دون شكّ وَحْدَها هي التي تضمن على الأقلّ للإنسان في صِبَاه هذه العَقيدَة. أمّا سَبَبُ وَصْفِهِ بَأَنَّه (مشروع نَهْضَة)؛ فلأنّه حَقًّا يُقدِّم الكَثِيرَ لحاضر اللّغة العربيّة قبل ماضيها، باعتباره يعالج الكثير من المشاكل التي تواجه اللغة العربيّة في هذا العصر كصعوبة فهم النّصوص التّراثيّة القديمة، وغياب المصطلح العلميّ، وصعوبة التّرجمة إليها، وصعوبة تحقيق مخطوطاتها. ولَعَلَّ المجالات الَّتي يُمْكِنُ فيها الاستفادة من هذا المعجم التّاريخيّ للغة العربيّة كفيلة بتبرير هذا الوصف، وأُولَى هَذِه المَجالات تحديدا هي التَّعليم، والتّرجمة، والصّناعة المعجميّة والتّحقيق، وعلم الدّلالة العربيّ:

١- التّعليم: لا ينكر أحد منا بأيّة حال من الأحوال الصّعوبات التي تواجه متعلّمي اللّغة العربيّة، استنادًا إلى النّصوص الأدبيّة القديمة وحتّى الحديثة منها، لتَميُّز كُلّ كاتب أو شاعر بأسلوبه في الكتابة، فاللّغة في جميع الأحوال هي للجميع، لكن الإبداع فيها يبقى المزيّة الأساسيّة والخاصّة بأسلوب الكاتب، ومن هنا تظهر دوما مشكلة صعوبة فهم النّصوص الأدبيّة التي يُعتمَد عليها بالدّرجة الأولى في تنميّة المهارات اللغويّة، وأمام عجز المعاجم اللغويّة القديمة والحديثة منها عن استيعاب جميع ألفاظ اللّغة ومعانيها، بشكل يُمكّن من فهم جميع مفردات اللّغة العربيّة التي يمكن أنْ ترد ضمن هذه النّصوص، يغدو المُعجمُ التّاريخيُّ الوسيلة الأولى التي تُمكّن من فهم معاني مفردات اللّغة في أيّ نصّ من النّصوص من خلال تحديد مرحلته التّاريخية، وبالتّالي فهو يُمكِن أن يساعد إلى حدٍّ بعيد المُعلّمين والمتعلّمين على فهم مختلف النّصوص الأدبيّة على اختلاف مراحل تاريخها، كما يُمكّن من تحليلها تحليلا صَحيحًا وفق ما تقتضيه العَمَليَّة التَّعليميَّة.

٢- التّرجمة: لا يَخفَى على أحد من المُتخصّصين في مجال التّرجمة أو التّرجمة من العربية و اليها، أنّ التّرجمة إلى هذه اللّغة قد أضحت من الصّعوبة بمكان، لِعدّة أسباب منها غياب

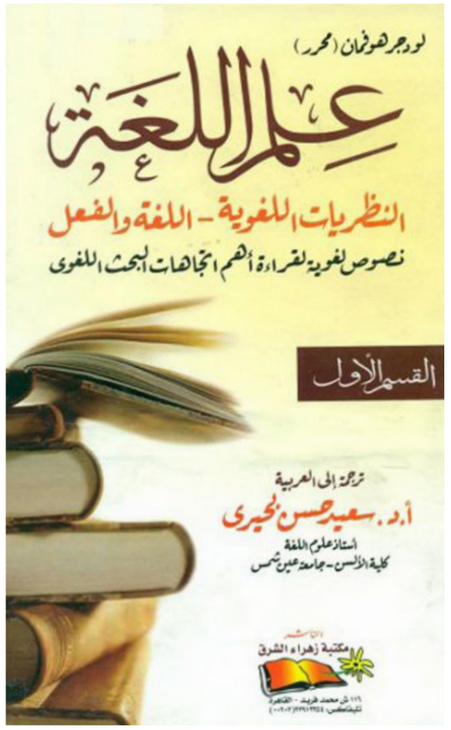

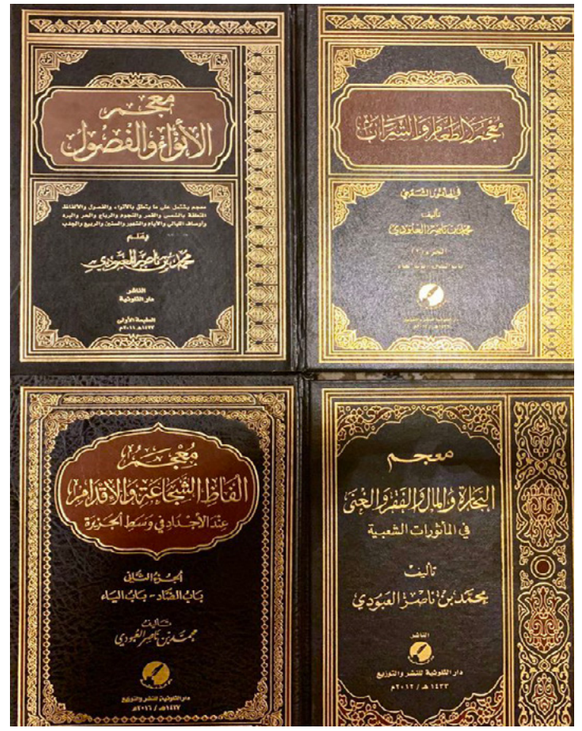

المصطلح العلميّ، وعدم دقّة بعض المصطلحات في نقل المعنى، وقلّة تجربة العربيّة مع هذا العمل العلميّ الذي يحتاج بالضّرورة إلى أيدٍ عاملة كثيرة لاستيعاب الإنتاج العلميّ في اللغات الأجنبيّة، وأخيرا عجز التّرجمة الآليّة عن نقل النّصوص من لغتها المصدر إلى اللغة الهدف وهي العربيّة، نقلا صحيحًا؛ إذ كثيرا ما ولّدت التّرجمة الآلية إلى اللّغة العربيّة، عدّة إشكالات على مستوى هذا العمل مما استدعى تدخُّل اليد البشريّة في كلّ مرّة لتصحيح النّصوص التي ينتجها هذا النّوع من التّرجمة.

وأمام هذه المشاكل التي تواجهها اللّغة العربيّة في مجال التّرجمة والتّرجمة الآليّة، يُعَدُّ المعجم التّاريخيّ بمثابة حلّ جزئيّ لمشكلة من مشاكل التّرجمة وهي تقريب المصطلح العلميّ من الباحثين، باعتباره مدوّنة لغويّة يعود إليها المُترجِم كلّما استدعى الأمر ذلك، لوضع المصطلح أو اللفظ المناسب للمعنى المناسب، وكذا تسريع عمليّة التّرجمة إلى العربيّة التي عادة ما تستعدي تَوقُف المُترجِم عن هذا العمل للبحث في المعاجم اللغويّة القديمة أو الحديثة عن مقابل عربيّ، وهو ما يَحدث مع معظم المترجمين إلى العربيّة في مختلف دول الوطن العربيّ.

٣- الصِّناعة المُعجميَّة: تُعَدُّ الصّناعة المُعجميّة من المجالات العلميّة الرّائدة في مجال الدّراسات اللغويّة الحديثة، نظرا لأهمّيتها بالنّسبة لمجالات عدّة في حياة الإنسان المعاصر: كالتّعليم، والسّياحة، والإعلام، والتّجارة، وغيرها من المجالات التي تقوم أساسا على وظيفيّة اللّغة، حيث تهتمّ الصّناعة المعجميّة في هذه المجالات بصناعة المعاجم اللّغويّة، والقواميس المصطلحيّة، المُوجَّهة لأغراض علميّة أو تعليميّة، وكذا الأدلّة الوظيفيّة، وأدلّة المحادثة اليوميّة، والإعلانات والإشهارات، والأدلّة الخاصّة باستعمال الأجهزة الإلكترونيّة والميكانيكيّة في المؤسّسات الصّناعيّة أو التّجاريّة، إلى جانب طريقة ترتيبها وتبويبها داخل هذه المعاجم أو القواميس أو الأدلّة؛ لتسهيل عمليّة استخدامها داخل هذه المؤسّسات الخاصّة بها. وهنا من دون شكّ فإنّ المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة يقدّم ثروة لغويّة هائلة من شأنها أن تُسْهِمَ في بناء هذه المعاجم اللغويّة أو القواميس المصطلحيّة أو الأدلّة الوظيفيّة أو الخاصّة بالمحادثة أو التّواصل أو استعمال الأجهزة والأدوات، مع إمكانيّة تحديثها باستمرار كلّما استدعت الحاجة إلى ذلك، كما من شأنه أنْ يُغطّي هذا العجز المصطلحيّ الذي تعاني منه العربيّة في مختلف المجالات العلميّة، من خلال توفيره لمعلومات كافيّة عن طبيعة المُستعمَل والمُهمَل من ألفاظها لتوليد معانٍ جديدة من هذه الألفاظ، أو استخدام المهمل منها في التّعبير عن هذه المعاني.

٤- التّحقيق: يُقْصَد بالتّحقيق هنا فنُّ تحقيق المخطوطات الذي يُعنَى بتخريج النّصوص إلى جانب الشّواهد الشّعريّة والنّثريّة وتخريج أسماء الأعلام والأمكنة. ولا شَكَّ هنا في أنّ اشتغال المُحقِّق على النّصوص القديمة، كثيرا ما يطرح لديه عدّة إشكالات كالتّصحيف والتّحريف وسقوط بعض الكلمات وعدم وضوح بعضها، وتشابه بعضها مع بعض في ما تجانس من هذه الكلمات وبخاصّة مع غياب نسخة ثانية يعود إليها المُحقِّق في كثير من الأحيان للمقارنة والتّرجيح. وهنا لا شكّ في أنّ المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة، يُمكِّن المُشتغلين على النّصوص القديمة بالتّحقيق، مِنَ التّثبُّت مِنْ طبيعة الكلمات التي وَقَعَ عليها الغُمُوض، من خلال تحديده لمختلف المعاني التي وردت عليها الكلمات المُتشابِهة في سياقات مختلفة، أو تحديده للكلمة الّتي تناسب السّياق فيما سقط من هذه الكلمات أو مسّه تصحيف أو تحريف.

٥- علم الدّلالة العربيّ: يَصِحُّ القول بأنّه لا يُمْكِن قَصْرُ علم من العلوم على جِنْس بشريّ محدّد أو لغة بعينها، ولكن من باب التّخصيص أو الاختصاص، يمكن أن نعدّ علم الدّلالة في لغة من اللّغات أو حضارة من الحضارات، ذلك العلم الذي يهتم بقضايا الدّلالة فيها أو في لغة من لغاتها، ومن هذا المنطلق تبنّينا مصطلح علم الدّلالة العربيّ كما تبنّته بعض الكتب العربيّة، إيمانا منّا باختصاص هذا العلم في مرحلة من تاريخه بقضايا الدّلالة في اللّغة العربيّة، وإذا كانت موضوعات هذا العلم بالتّحديد تقف على مختلف العلاقات الدّلاليّة القائمة بين الألفاظ: كالاشتقاق، والتّرادف. أو القائمة بين المعاني: كالمشترك اللفظيّ، والتّضاد، والمجاز، والحقول الدّلاليّة، فإنّ المعجم التّاريخيّ يُمكِنُ أنْ يُقدِّم نظريّة عامّة عن كلّ هذه العلاقات الدّلاليّة في اللّغة العربيّة، في ما يقدّمه من شرح لمعاني الألفاظ في مختلف سياقاتها التي ترد فيها، وعبر مختلف مراحل تاريخها، بما يمكّن من بناء معاجم دلاليّة خاصّة بمختلف هذه العلاقات، كبناء معاجم للمُشتقّات، أو الأضداد، أو المشترك اللفظيّ، أو المترادفات، أو الحقول الدّلاليّة، وغيرها مما يرتبط بقضايا الدّلالة.

ومن دون التّوسُّع في هذه المجالات أكثر، يبقى مجال الثّقافة المجال الأوسع للاستفادة من هذا المعجم (المعجم التّاريخيّ للّغة العربيّة) في تقديم ثقافة عامّة عن ألفاظ اللّغة العربيّة ومعانيها عبر مختلف مراحل تاريخها، مع أمل أن نكون من خلال هذه المجالات قد أجبنا عن السّؤال المُتضمَّن في فاتحة هذا المقال (ماذا سيضيف هذا المعجم للّغة العربيّة؟ ولماذا تَأخَّر النّاطقون بهذه اللّغة في إعداده؟).

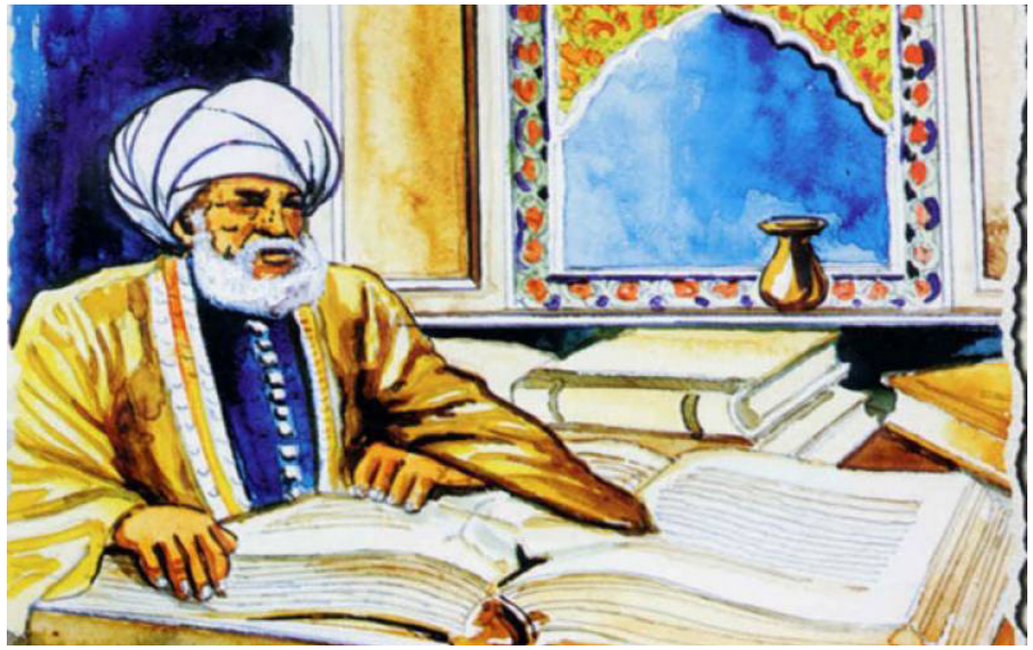

قراءة في المسيرة العلمية
لأبـــي حيّـــان الأنـدلســـي
أحد أئمّة النحو والصرف

معتز وسام المحتسب
باحث في شركة روافد المعرفة للأبحاث والعلومات

من أبرز أعلام العربية في القرن الثامن الهجري أبو حيّان الأندلسي (٦٥٤-٧٤٥هـ)، فقد كان عالمًا مبرّزًا في النحو، والصرف، واللغة، والتفسير، والقراءات، والحديث، والتاريخ، والتراجم، والأدب وغير ذلك.

ويُعدّ كتاب (التذييل والتكميل شرح التسهيل) لأبي حيّان من أوسع الكتب المؤلَّفة في علمَي النّحو والصّرف، ومَن يطالع هذا الكتاب يعجب من تمكّن أبي حيّان وسَعة اطلاعه، واستيعابه آراء البصريين والكوفيين، وغيرهم، حتى صار كتابه بحرًا غرف منه جِلّة من معاصريه أو ممّن جاء بعده، كابن أم قاسم المرادي (ت: ٧٤٩هـ).

فكيف حقّق أبو حيّان هذه المكنة العلميّة؟

وُلد صاحبنا أثير الدين أبو حيّان محمّد بن يوسف النَّفْزيّ الجيّانيّ في أحدِ أحياء مدينة غَرناطة بالأندلس، في أواخر شوّال (سنةَ ٦٥٤هـ)، الموافق لمنتصف تشرين الثاني سنةَ ١٢٥٦م. ويعود أصله إلى قبيلة نَفْزة البربرية، وقد سكن أهلُه مدينةَ جَيّان الأندلسية، ثمّ هاجروا إلى غَرناطة التي وُلد فيها، توفّي أبو حيّان رحمه الله بالقاهرة، في يوم السبت بعد العصر، الثامن والعشرين من صفر، (سنة ٧٤٥هـ)، الموافق للحادي عشر من تمّوز سنة ١٣٤٤م. ومن خلال تأمّل سيرته وترجمته -خاصة ما ذكره تلميذُه الصفدي في الوافي بالوفَيات[١] ، وأعيان العصر[٢] ، وما ذكره المقّري في نفح الطيب[٣] - يظهر أن من أبرز أسباب سعة تحصيله العلمي ما يلي:

١- بدْؤه طلبَ العلم في سنّ مبكرة، فقد بدأ بذلك قبل سنّ الخامسة عشرة؛ فإن الصّفديَّ ذكر أن أبا حيّان خدم العلم مدّةً تقارب الثمانين سنةً، وقد عُمّر تسعين سنةً تقريبًا، فيكون قد بدأ بطلب العلم واشتغل به وهو في العاشرة من عمره تقريبًا.

٢- تنوّع العلوم التي سعى إلى تحصيلها، بدءًا بالقرآن الكريم وقراءاته، ثمّ الحديث النبوي وعلومه، وعلوم العربية نحوًا وصرفًا ولغةً وبلاغةً وأدبًا وشعرًا، وعلم الفقه وأصوله، وعلم أصول الدين، وعلم المنطق، والتاريخ والتراجم، وقد كان له محفوظ جيّد في هذه العلوم، خاصّةً القرآنَ الكريم وقراءاتِه والحديثَ النبوي والأدبَ شعرًا ونثرًا.

٣- جدّيته في الطلب وحرصه على وقته، فقد قال فيه تلميذُه الصفدي:

«اجتهد وطلب وحصّل وكتب وقيّد، ولم أرَ في أشياخي أكثرَ اشتغالاً منه؛ لأني لم أرَه إلا يُسمِع أو يشتغل أو يكتب».

(١) انظر: الوافي بالوفيات، للصفدي (١٧٥/٥)
(٢) انظر: أعيان العصر (٣٢٥/٥)
(٣) انظر: نفح الطيب، للمقرّي(٥٣٥/٢).

٤- كثرة شيوخه الذين أخذ عنهم، فقد كانوا نحو خمسين وأربعمئة شيخ. وكان من أبرز من أخذ عنهم علومَ العربية: أبو الحسين بن أبي الربيع (٥٩٩- ٦٨٨هـ)، وحازم القرطاجنّي (٦٠٨-٦٨٤هـ)، وأبو الحسن الأُبّدي (٦١٣-٦٨٠هـ)، وأبو جعفر أحمد بن يوسف اللّبْلي (٦١٣-٦٩١هـ)، وأبو الحسن ابن الضّائع (٠٠٠ - ٦٨٠ هـ)

٥- رحلته في طلب العلم، فقد بدأ بالأخذ عن علماء بلده غَرناطة، ثم أخذ عن علماء بعض بلاد الأندلس، ثمّ ارتحل عنها مفتتحَ سنة ٦٧٩هـ إلى شمال إفريقيا، فأخذ عن علماء بجاية وتونس، ثم انتقل إلى الإسكندرية، وقرأ على بعض علمائها، وسمع من بعض علماء مكة، ثم قدم إلى مصر سنة ٦٨٠هـ، فنزل بالقاهرة واستقرّ بها والتقى بعلمائها، وفي أثناء استقراره بالقاهرة كانت له رحالات إلى أنحاء مصر والشام والعراق والسودان.

٦- إيلاؤه الكتبَ المهمّة في كلّ فنّ عُني به اهتمامًا خاصًّا، ففي فنّي النّحو والصّرف مثلا اهتمّ في مرحلة الطّلب بـ(كتاب) سيبويه(ت: ١٨٠هـ)، و(الإيضاح) و(التكملة) كلاهما لأبي عليّ الفارسيّ(ت: ٣٧٧هـ) و(المفصّل) للزّمخشريّ (ت: ٥٣٨هـ)، و(الجُمل) للزّجّاجيّ (ت: ٣٤٠هـ)، كما أشار إلى ذلك هو في إجازته للصّفديّ التي أوردها في ترجمته لأبي حيان، وقد كان لأبي حيّان عناية بكتاب سيبويه وبمؤلّفات ابن عصفور الإشبيليّ (ت: ٦٦٩هـ)، وبمؤلّفات ابن مالك (ت: ٦٧٢هـ)،

أولًا: عناية أبي حيّان بكتاب سيبويه:

فإنّ أبا حيّان قرأ كتاب سيبويه غيرَ مرّة على عدد من كبار النحويّين في عصره، فقد ذكر المقّري في نفح الطيب[٤] أن أبا حيّان قرأ جميع كتاب سيبويه على البهاء ابن النحاس الحلبي، بإسناده المتّصل إلى سيبويه.

ولأبي حيّان كتابان يتعلّقان بكتاب سيبويه، أحدهما: شرح

(٤) انظر: نفح الطيب (٥٦١/٢)

لـه، اختصره من شرح قاسم بن علي الصّفّار البطَليَوسي (ت بعد٦٣٠هـ)، وسمّاه: (الإسفار الملخَّص من كتاب الصّفّار)، والآخر هو: (التجريد لأحكام سيبويه).

وحين تصدّر أبو حيّان للتدريس في مصر التزم ألا يُقرئ أحدًا النّحوَ إلا إن كان في كتاب سيبويه، أو في (التسهيل) لابن مالك، أو في تصانيفه[٥] ، كما ذكر ذلك تلميذه الصفديُّ في الوافي بالوفَيات

ثانيًا: عناية أبي حيّان بكتب ابن عصفور:

اهتمّ أبو حيّان بكتب ابن عصفور، وكان يرى أنّها من أحسن كتب المتأخّرين المصنّفة في النّحو والصّرف، واختصر ثلاثةَ كتب منها؛ هي: (المقرّب في النحو) و(الممتع في التصريف) و(الشرح الكبير على جمل الزجاجي؛ فاختصر (المقرّب) في كتاب سمّاه: (تقريب المقرَّب)، واختصر (الممتع) في كتاب سمّاه: (المبدع الملخّص من الممتع)، واختصر (الشرح الكبير) في كتاب سمّاه: (الموفور من شرح ابن عصفور).

ثالثًا: عناية أبي حيّان بكتب ابن مالك.

عُني أبو حيّان بكتب ابن مالك، (الخلاصة في النحو) المشهور بـ(ألفية ابن مالك)، وكتاب (تسهيل الفوائد) على وجه الخصوص، أمّا (الألفية) فقد شرحها في كتابه (منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك)، إلا أنه لم يُتمّه، ووقف فيه عند آخر باب أفعل التفضيل، وكان فيه كثيرَ الانتقاد لابن مالك.

وأما (تسهيل الفوائد) فقد كانت عناية أبي حيّان به أكثر من عنايته بـ(الألفية)، فهو أحد الكتب التي التزم ألا يُقرئ غيرَها كما مرّ في كلام الصَفدي آنفًا، وهذا يدل على إعجابه به، وقد صرّح بذلك في مقدّمة (التذييل والتكميل)، والذي وصلنا من مختصرات أبي حيّان لكتب من سبقه هو مختصراته لكتب ابن عصفور:

(٥) انظر: الوافي بالوفيات، للصفدي (١٧٥/٥) و وأعيان العصر (٣٣٢/٥).

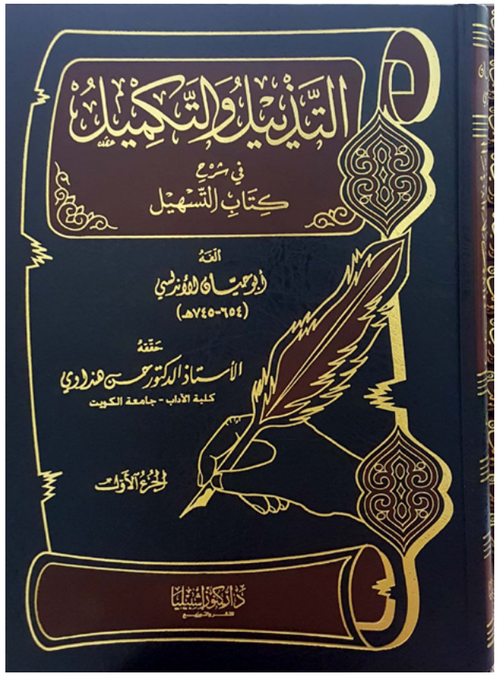

(تقريب المقرّب) و(المبدع الملخَّص من الممتع) (الموفور من شرح ابن عصفور)، وقد صرّح في مقدّماتها بمقصده من اختصارها، ويمكن إجمال هذا المقصد في أنه أراد تيسير الاستفادة ممّا في أصول تلك الكتب، حفظًا واستظهارًا ومراجعةً.

التسلسل الزمني في تأليف كتب النحو والصرف عند أبي حيان:

يُعدّ اختصار أبي حيّان بعضَ الكتب مرحلةً من مراحل التأليف في حياته العلمية، وقد كان لهذه المرحلة أثرٌ كبيرٌ في مصنّفاته النّحويّة اللاحقة، ويبدو أنّه ألّف أكثرَ كتبه بعد أن رحل عن الأندلس واستقرّ به المقام في مصر سنة ٦٨٠هـ. يظهر أنّ أوّلَ كتاب ألّفه في النّحو هو (تقريب المقرّب) الذي اختصر فيه (المقرّب) لابن عصفور، وذلك (سنة ٦٨٧هـ)؛ أي بعد أن استقرّ بمصر بنحو سبع سنوات، وبعد ذلك بسنتين ونصف تقريبًا فرغَ أبو حيان من تأليف كتابَين مختصرَين في النَحو؛ هما: (اللَّمحة البدرية) و(غاية الإحسان)، وذلك (سنة ٦٨٩هـ).

وبعد عشر سنوات فرغ أبو حيان من تأليف كتاب (المبدع) الذي اختصر فيه (الممتع) لابن عصفور، وذلك سنة ٦٩٩هـ، ويبدو أنّ أبا حيّان ألّف في تلك السّنوات العشر كتابَيه (النكت الحسان في شرح غاية الإحسان)، و(التّدريب في تمثيل التقريب)، أمّا كتاب (الموفور) فلا يظهر ما يدلُّ على سنة الفراغ من تأليفه، فالنَسخة الخطية لهذا الكتاب التي بخطّ أبي حيّان فُقِد آخرُها، وعادته أنه كان يكتب تاريخَ الفراغ من التأليف في آخر النسخة، والمتيقَّن منه أنه ألّف (الموفور) بعد (المبدع)، ولعلّ تأليفه كان بين عامَي ٧٠٠ و٧١٠هـ. وبعد أنّ ألّف أبو حيّان هذه الكتبَ المختصَرة في النَّحو والصَّرف شرع في تأليف الكتب الموسّعة، وأهمّها أربعة: (منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك)، و(البحر المحيط في التفسير)، و(التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل)، (ارتشاف الضرَب من لسان العرب). وأوّل هذه الكتب الأربعة تصنيفًا هو (منهج السالك)، فقد ذكره أبو حيّان وأحال عليه في مواضع عدة في (البحر المحيط) و(التذييل والتكميل) و(ارتشاف الضرب). وتلا كتابَ (منهج السالك) كتابُ (البحر المحيط) وكتابُ (التذييل والتكميل)، وقد صرّح أبو حيّان في مقدّمة (البحر المحيط) أنه شرع في تصنيفه في أواخر سنة ٧١٠هـ، أي بعد أن جاوز سنّ الخامسة والخمسين، ويبدو أنّه شرع في تصنيف (التذييل والتكميل) في الوقت نفسه بعد أن كُفي مؤونته وتفرغ للتعليم والتأليف. وقد مكث في تصنيفهما سنوات عدّة، ويدل على أنّه صنّفهما في وقت واحد أنه أحال في كلّ واحد منهما على الآخر في مواضع عدّة منهما، وأمّا آخرُ كتبه تصنيفًا من تلك الأربعة فهو (ارتشاف الضرَب من لسان العرب)، فقد ذكر في مقدمته أنه اختصره من كتابه (التذييل والتكميل)، فهو بعده قطعًا.

والمقصد من ذكر ما سبق هو بيان أن المكنة العلمية التي حازها أبو حيّان لم يصل إليها في يوم وليلة.ثم إنه لما شرع في التأليف تدرّج في ذلك؛ فبدأ باختصار كتب غيره، ثم بوضع كتب مختصرة له، ثم بعد نصف قرن من الزمن قضاها في التعلّم والتعليم شرع في تأليف الكتب المطوّلة مثل (التذييل والتكميل) و(ارتشاف الضرب).

أبو جعفر ابن النّحاس (ت: ٣٣٨ هـ)

- ومضاتٌ في فِكْره ومؤلفاته -

يدركُ الدّارسون والمهتمون باللّغة العربيّة مدى العناية والاهتمام الذي نالته هذه اللّغة من أبناء جلدتها بداية، تلاهم في ذلك الاهتمام مجموعة ليست بالقليلة من المستشرقين والأعاجم الذين أبصروا بعين الحقيقة ما تملكه العربيّة من أصول وقواعد وبلاغة فريدة شاركت في بثّ الحياة في العربيّة حتى يومنا هذا، بل إلى أجَلٍ غير مسمّى.

وما كنّا ونحن في القرن الواحد والعشرين لنصل إلى فهْم عميق لدقائق لغتنا لولا تلك الجهود العظيمة التي بُذلت خدمةً للغة القرآن الكريم من علماء نذروا أنفسهم وأوقاتهم في سبْر أغوار العربيّة. ومن بين هؤلاء العلماء يلمعُ اسمٌ في القرن الرّابع الهجريّ لم يحظ بعناية الباحثين والدّارسين، ولم تَطرقْ جهودَه المقرّراتُ الجامعيّة أو الرّسائلُ العلميّة إلّا نزْرًا يسيرًا، وتبقى الدّراسات قاصرة عن إعطائه مكانته التي يستحقها بين علماء اللّغة والنّحو في القرون الهجريّة الأولى. نعم، إنّه أبو جعفر أحمد بن محمد ابن النّحاس المتوفّى عام (٣٣٨ هـ) صاحب أوّل كتاب متخصّص في إعراب القرآن المسمّى « إعراب القرآن »، وصاحب الكتاب الذي جمع بين صحائفه الرّكائز الأساسيّة التي تقوم عليها العربيّة : النّحو والصّرف والبلاغة والعروض. إنّه الكتاب الموسوم بـ« شرح القصائد المشهورات الموسومة بالمعلّقات»، الذي أدار له المحقّقون ظهورهم؛ فلم أقف إلّا على تحقيق منفرد له في عام ١٩٧٣م من الأستاذ أحمد خطّاب، ولعلّ اللّه تعالى يسهّل لي الصعوبات ويفتح لي أبواب فضله وعلمه بأنْ أنشرَ التّحقيق الثّاني للكتاب في عام ٢٠٢٠ م؛ فقد وصلت بي رحلة التّحقيق إلى منتصف الطّريق.

د. محمد عدنان الصمادي

فالحديثُ عن بعض المقتطفات اللّغويّة في فِكْر ابن النّحاس الذي يُعدُّ بحقٍّ عَلَمًا بارزًا من أعلام العربيّة في القرن الرّابع الهجريّ، هذا القرنُ الذي يمتلئ بالجهود العلميّة من كبار اللّغويين والنّحاة كالزّجاج، وابن السّراج، وأبي سعيد السّيرافيّ، وأبي علي الفارسيّ، والرّمانيّ، وابن جنيّ. ولعلّ هذه الأسماء الكبيرة أسهمت في صرْف النّظر عن دراسة مصنّفات ابن النّحاس، وهو لا يقلّ مكانةً عنهم.

ولا يُدرَك جُهدُ عالِم ما إلّا بما يتركه من مصنّفات وآثار علميّة وراءه، أو بما يرويه عنه طلابُه أو ممّن له اهتمام بالعلوم من العلماء أو الرّواة، وقد أدركتُ من خلال مسيرتي العلميّة المتواضعة، وما قرأته من مصنّفات وبحوث علميّة أنّ آراء ابن النّحاس لم تحظَ بكثير اهتمامٍ في كتب اللّغة والنّحو، ممّا يوجّهنا لدراسة مصنّفاته وآثاره العلميّة الّتي تعدُّ بحقٍّ مؤلّفاتٍ نفيسة في علوم العربيّة كافة؛ فقد ألّف ابن النّحاس في إعراب القرآن، ومعاني القرآن، والنّاسخ والمنسوخ، وشرح أبيات سيبويه، وشرح المعلّقات.

وتظهر القيمة العلميّة الكبيرة لابن النّحاس وآرائه من خلال عِظَم شيوخه الّذين أخذ عنهم العلم، وهم: المُبرِّد، والزّجّاج، وأبو الحسن علي بنُ سليمان المعروف بالأخفش الأصغر، وأبو عبد الله إبراهيم بن محمد المعروف بنفْطويه. فقد أكثرَ ابن النّحاس من النّقل عنهم في كتابَين اثنين على وجه الخصوص، هما: إعراب القرآن. وشرح القصائد المشهورات الموسومة بالمعلّقات؛ فمن خلال هذين الكتابين ستظهرُ لنا المكانة الحقيقيّة لابن النّحاس؛ ففي كتابه «إعراب القرآن» إشاراتٌ ودلالاتٌ واضحةٌ لفهْم منطلقات المدارس اللّسانيّة الحديثة كالمدرسة التّوليديّة التّحويليّة عند تشومسكي. وفي كتابه «شرح القصائد المشهورات» جهد عظيم في دراسة المسائل النّحويّة والصّرفيّة والبلاغيّة والعَروضيّة الواردة في المعلّقات، مدعومة بآراء أئمة العلماء من أهل البصرة والكوفة؛ فهو كتاب استوفى فيه صاحبُه كثيرًا ممّا يحتاجه الدّارس للأدب العربيّ بمسائله اللّغويّة.

فعند حديثنا عن كتاب «إعراب القرآن» نجد أنّ مؤلّفَه قد ضمّنه مادة علمية غزيرة، شهد لذلك الزّبيديّ بقوله: «**وكتاب إعراب القرآن جلب فيه الأقاويل، وحشد الوجوه**[1]». والناظر في هذا الكتاب يجدُ صاحبه قد استقى مادته العلمية من أمهات كتب اللغة والنحو، كـ «معجم العين» للفراهيديّ، والكتاب لسيبويه، ومعاني القرآن للزّجّاج، والمسائل الكبير للأخفش الأوسط، والمصادر في القرآن للفراء، وغيرها من المصادر.

وقد جُمع في هذا الكتاب كثيرٌ من آراء البصريين والكوفيين والبغداديين، كما نُقل فيه عن الرواة والمُحدِّثين، وهذا يعطي الكتابَ مزيَّةً علميّة متقدّمة: ذلك أنّ ورود الآراء المتعددة في المسألة الواحدة يعطي دلالة على سعة علم المؤلّف واطّلاعه على ما سبقه من آراء ومصنفات. وتظهر قيمة علميّة مُضافة لكتاب «إعراب القرآن» تتمثّل في تأثُّرِ عدد من النّحويين والمفسرين به؛ فأوردوا كلام ابن النّحاس في مصنفاتهم، ومنهم: مكيّ بن أبي طالب (ت: ٤٣٧هـ) في كتابه « مُشْكل إعراب القرآن»، وأبو البركات الأنباريّ(ت: ٥٧٧هـ) في كتابه «البيان في غريب إعراب القرآن»، وكذلك أبو عبد الله القرطبيّ (ت: ٦٧١هـ) في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن».

ومن المسائل النّحويّة التي ذكرها ابن النّحاس في كتابه «إعراب القرآن» وتأثّرت بها المدارس اللّسانيّة الحديثة « إنْ سلّمنا بذلك » مسألة الحذف اللّغويّ؛ فقد نصّ ابن النّحاس على أنّ علّة الحذف ترجع لأسباب هي[2] : **دلالة السّياق على المحذوف، والتّخفيف والاختصار، وكثرة الاستعمال، وعلم السّامع بالمحذوف.**

وينسجم كلام ابن النّحاس مع مبدأ الاقتصاد اللّغويّ عند المدرسة الوظيفيّة الّتي قالت: إنّ الجملة ينبغي لها «أنْ لا تحتوي أشكال

---

(١) طبقات النحويين واللغويين، ص: ٢٢٠.

(٢) انظر شواهد على ذلك في إعراب القرآن. ص: ٢٢٧، ٤٤٨، ٥٢٧، ٤٤٤، ٧١٥، ٩٦٤.

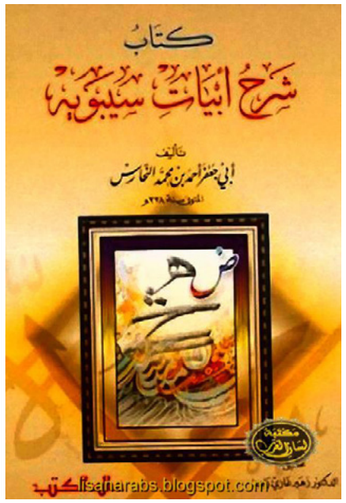

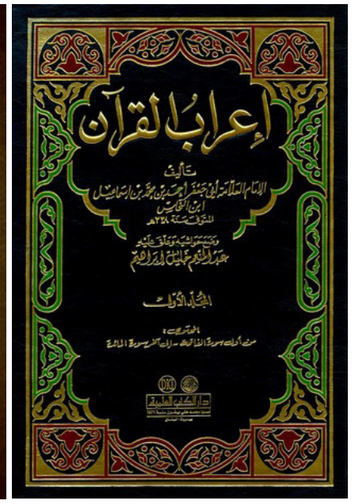

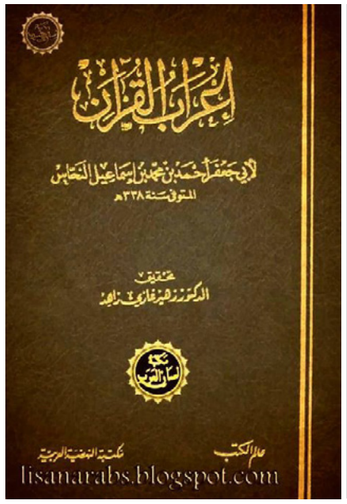

التعبير أكثر ممـا يحتـاجُ إليه السّامع[٣]» . كما أنّ سياق الحذف اللّغويّ عند ابن النّحاس دلّ بصورة واضحة على كوْن الحذف أداة يلجأ إليها العربيُّ بفطرته لإيجاد مساحة من إحدى الدّلالتين: السّطحيّة الظّاهـرة أو العميقـة الخفيّـة؛ فالسّـطحيّة واضحـة لا تحتمل كثيرًا من التأويلات، أمّا العميقة الخفيّة فيذهبُ العقلُ فيها كلَّ مذهب، ذلك أنّها تخضعُ لمؤثّرات منها: أثر السّياق في المعنى، وفهْم المتلقّي، واختـلاف هـذا الفهـم للمعنـى يـؤدّي بالضّـرورة إلى اختـلاف الإعـراب والدّلالـة، وقد أطلق الدّكتور نهـاد الموسى على هـذه الجزئيّـة عبـارة: «تعدد المعنى على توحّد المبنى[٤]» . ومـا نـادتْ بـه مدرسـة تشومسكي مـن أنّ اللّغة :«تستخدمُ وسـائل محدودة استخدامًا غير محدود[٥]» ، منبثقٌ بصورة جليّة من مسألة الحذف اللّغوي في اللّسان العربيّ؛ إذ نرى أنّ الحذف قد طرق أبواب اللّغة كلّها، وأسهم في توليد خيارات لّغويّة متعدّدة. ولعلّي في حديثي هذا عن مسألة الحذف أشيرُ إلى واقع الكتابات العربيّة على اختلاف مستوياتها، فالكتابة العربيّة في المؤلّفات والأبحاث والقصص والرّوايات تعجز في كثير منها عن إدراك الغاية المرجوّة من الحذف؛ فالعلّة عند القدماء هي الإيجاز والاختصار، وحريٌّ بنا في العصر الحديث أنْ نضيفَ هدفًا آخر للحذف وهو الإثارة والحماسة والتّشويق، وهذا ما لا نجده في كثير من الكتابات العربيّة، وإذا أخذنا النماذج الأدبيّة المشهورة على مستوى العالم العربيّ ككتابات نجيب محفوظ أو الطّيب صالح، فإنّنا نجدهم قد استخدموا مسألة الحذف بصورة سطحيّة لا تُسهم في إذْكاء عنصر التّشويق والإثارة، لكنّنا نراهم قد أبدعوا في عناصر أدبيّة أخرى أدّت إلى انتشار كتاباتهم على نطاقٍ واسع.

وفي هذه المشاركة العلميّة المتواضعة أدعو الكتّاب والأدباء واللّغويين العرب وغيرهم إلى الرّجوع إلى كتاب «إعراب القرآن»، والنّظر بعين فاحصة في منهج ابن النّحاس في تناوله لمسألة الحذف اللّغويّ وغيرها من المسائل، والأخذ منه وإسقاط منهجه على الكتابات الحديثة، عوضًا عن الإقبال على النّظريات اللّسانيّة الغربيّة واعتبارها نموذجًا يُحتذى لتطوير الدرس اللّسانيّ العربيّ؛ ففي تراثنا ما يكفينا من عوامل التّطوّر والنّموّ.

والكتاب الثّاني الذي تتجلّى فيه براعة ابن النّحاس وسعة علمه هو «شرح القصائد المشهورات الموسومة بالمعلّقات»، وقد ظُلم الكتابُ وصاحبه بندْرة مَنْ نظر إليه من المحقّقين الّذين وجّهوا جهودهم وصرفوها لمُصنّفات أخرى عُنيت بشرح المعلّقات على اختلاف عددها، وما يميّز كتاب ابن النّحاس المادة المجموعة فيه؛ فهي تخدم فنون العربيّة كلّها، وتعطي صورة جامعة للمسائل النّحويّة والصّرفيّة والبلاغيّة والعروضيّة في المعلّقات الّتي بلغ عددها في الكتاب تسع معلّقاتٍ، بينما نرى الشّروح الأخرى للمعلّقات تقتصرُ على تفسير معاني المفردات وبعض الأخبار المرويّة عن المعلّقات وأصحابها، ولا تلقي بالًا للمسائل النّحوية والصّرفيّة. كما جمع المؤلّف في كتابه آراء كبار اللّغويين والنّحويين من بصريين وكوفيين في مسائل خلافيّة كثيرة؛ فهو كتاب يوثّق الآراء النّحويّة وينسبها لأصحابها.

لقد نظر ابنُ النّحاس للمعلّقات نظرة شموليّة توزّعت على أبواب اللّغة؛ فأسهمت هذه النّظرة الواسعة في تسهيل الطريق أمام الدّارسين بتأليف كتاب ذي قيمة علميّة عظيمة، وجعلت منه مصدرًا لا يُستغنى عنه في الدّراسات النّحويّة والأدبيّة.

وفي نهاية كلماتي هذه أدعو الأساتذة والدّارسين والمهتّمين باللّغة العربيّة إلى إيلاء مزيد من الاهتمام والعناية لأبي جعفر ابن النّحاس ومصنّفاته؛ فيقبلون عليها بالدّراسة والتّحقيق، وينشرون ما توصّلوا إليه من نتائج وتوصيات.

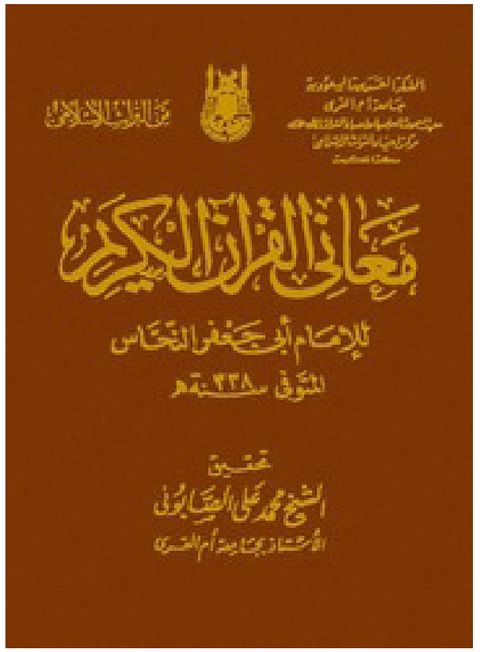

(٣) الظاهرة اللغوية ومناهج وصفها وتفسيرها، سهير سيف، ص: ١١٨.

(٤) نظرية النحو العربي في مناهج النظر اللغوي الحديث، ص: ٨١.

(٥) نفسه، ص: ٦١.

Government of Sharjah حكومة الشارقة

مجمع اللغة العربية بالشارقة

ARABIC LANGUAGE ACADEMY IN SHARJAH

المدينة الجامعية - الشارقة - الإمارات العربية المتحدة

مبنى مجمع اللغة العربية - الدور الأول

هاتف : 400 60 51 6 971+ , فاكس : 410 60 51 6 971+ , ص.ب : الشارقة ، 1973

البريد الإلكتروني : info@alashj.ae , الموقع الإلكتروني : www.alashj.ae

المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

Government of Sharjah حكومة الشارقة

مجمع اللغة العربية بالشارقة

ARABIC LANGUAGE ACADEMY IN SHARJAH

التّرشّح لـ :

جائزة الألكسو.الشارقة للدراسات اللغوية والمعجمية

الدّورة الرابعة 2020

2019

الشارقة
عاصمة عالمية
للكتاب

SHARJAH
WORLD BOOK
CAPITAL

افتح كتاباً.
تفتح أذهاناً.

OPEN BOOKS.
OPEN MINDS.

@sharjahwbc

sharjahwbc.com